



دعاء من جوامع كلم النبي الكريم

09 برنامج رحلة الصديق

محاضرة في الأردن

2023-02-27

عمان

الأردن

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وعملاً متقبلاً يارب العالمين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

دعاء فيه جوامع الكلم:

وبعد: جاء في سنن النسائي بسند صحيح:

{ صَلَّى عَمَّازُ بْنُ يَاسِرٍ بِالْقَوْمِ صَلَاةً أَحَقَّهَا، فَكَأَنَّهُمْ أَتَوْهَا! فَقَالَ: أَلَمْ أُنِّمِ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ أَمَّا أَنِّي دَعَوْتُ فِيهَا بِدَعَائٍ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو بِهِ اللَّهُمَّ بَعْلِيكَ الْغَيْبَ وَقَدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ أَحْيَيْ مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَقَّعْتُ إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي، وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتِكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَكَلِمَةَ الْإِخْلَاصِ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَقَرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَاءَ بِالْقَضَاءِ وَبِرَدِّ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَلَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ ضَرَاءٍ مُصَرَّةٍ، وَفِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هِدَاةً مُهْتَدِينَ. }

(صحيح النسائي)

(صَلَّى عَمَّازُ بْنُ يَاسِرٍ بِالْقَوْمِ صَلَاةً أَحَقَّهَا) صلى صلاة بالناس فأخفها؛ أي جعلها خفيفة سريعة، لعلها ليست كما عهدوا منه أن يطيل في الصلاة (فَكَأَنَّهُمْ أَتَوْهَا) يعني استغربوا منها.

الدعاء في الصلاة:

(فقال: ألم أنم الركوع والسجود؟ قالوا: بلى) وكان عمار بن ياسر -رضي الله عنه- يعطينا هنا مقياساً لتمام الصلاة، الصلاة التي لا تُنكر على إنسان أن يتم ركوعها وسجودها، جاء بالركوع والسجود على وجهيهما الصحيح، وهما بالعادة ما يستعجل بهما الناس، فركع حتى استوى رакعاً، ثم قام حتى استوى قائماً، ثم سجد حتى استوى ساجداً، وهكذا، يعني أقل الركوع سبحان ربي العظيم بتمامها، وكماله: سبحان ربي العظيم، سبحان ربي العظيم، والأكمل: اللهم لك ركعت وبك أمنت ولك أسلمت، خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي وما استقل به قدمي، السجود: أقله سبحان ربي الأعلى، وكماله: ثلاث مرات، وإذا زاد: "سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ" نَعَمْ ما فعل، وإذا زاد: "سجد وجهي للذي خلقه فصوره وشفق سمعه وبصره فتبارك الله أحسن الخالقين" فحسن لا سيما في صلاة الليل التي يُتَذَبُّ فيها الإطالة بالركوع والسجود.



مواطن الدعاء في الصلاة في السجود

(فقال: ألم أنم الركوع والسجود؟ قالوا: بلى، قالَ أَمَا أَنِّي دَعَوْتُ فِيهَا بِدَعَاءِ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو بِهِ) يعني هذه الصلاة التي استعزيتم سرعتها بالنسبة لما كان مني سابقاً كان فيها دعاء دعوت به، ربما دعا به في السجود أو قبل السلام، مواطن الدعاء في الصلاة في السجود.

قال: أكثروا الدعاء في السجود ففقم أن يستجاب لكم؛ أي جدير أن يستجاب لكم، أما الركوع: "فعظموا فيه الرب" بالركوع لا يدعو الإنسان، تعظيم لله.

{ أما الركوع فعظموا فيه الرب، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء، فقم أن يستجاب لكم. }

(صحيح مسلم)

السجود:

{ أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد؛ فأكثروا الدعاء }

(صحيح مسلم)

ومن مواطن الدعاء: بعد الإفراغ من الصلوات الإبراهيمية وقبل السلام يدعو الإنسان بما شاء من خيري الدنيا والآخرة.

(قالَ أَمَا أَنِّي دَعَوْتُ فِيهَا بِدَعَاءِ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو بِهِ-الآن دخلنا فيما نريد الدخول إليه- اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبِ وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ أَحْيَيْتَنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي وَنَوَقْنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي، وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَكَلِمَةَ الْإِحْلَاصِ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَفَرَجًا عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَاءَ بِالْقَضَاءِ، وَبَرَدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَلَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ ضَرَاءِ مُصَرَّةٍ وَفِتْنَةِ مَضَلِّهِ اللَّهُمَّ زَيِّنَا بِرِزْقِ الْإِيمَانِ وَاجْعَلْنَا هَذِهِ مُهْتَدِينَ) هذا دعاء النبي صلى الله عليه وسلم وهو من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم الذي جمع معاني كثيرة فيها معان عظيمة في كلمات قليلة.

التوسل إلى الله:

(اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبِ وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ): هذه الباء للتوسل؛ يعني يدعو الله اللهم أي يالله، الميم بدل من الباء لذلك لا يُقال: يا اللهم، إما أن يُقال اللهم، أو يالله، الميم بدل من ياء النداء، وهذه الميم خاصة بلفظ الجلالة، فلا يُنادى أحد بالميم المشددة إلا الله، هذه من خصائص اللغة، فلا يقال لشخص اسمه بلال: بلال، وإنما يا بلال، هذا لا يُنادى به إلا المولى جل جلاله اللهم.



تتوسل إلى الله بأسمائه، أو صفاته

فقال: **(اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبِ)** هذه الباء للتوسل، يعني أتوسل إليك بعلمك الغيب، هذا النوع من التوسل لا خلاف على جوازه بل استحبابه وندبه، بمعنى أن تتوسل إلى الله بأسمائه وصفاته، فتقول: يا غفور اغفر لي، اللهم برحمتك ارحمني، اللهم بفضلك تفصل علي، اللهم أنت الرزاق فارزقني، تتوسل إلى الله باسم من أسمائه، أو بصفة من صفاته. وقد تتوسل إلى الله تعالى بحبك لنبيه، اللهم بحبي لنبيك فَرِّجْ عني ما أنا فيه، اللهم باتباعي لنبيك فَرِّجْ عني ما أنا فيه.

وقد تتوسل إلى الله بأعمالك الصالحة، فتقول: اللهم إن كنت تعلم أنني أطلعت هؤلاء المساكين لوجهك ففَرِّجْ عني ما أنا فيه، كما فعل الثلاثة الذين شُئِدَّ عليهم الغار فدعوا الله كل واحد منهم بصالح عمله، ففرج الله عنهم الصخرة فخرجوا يمشون، فالتوسل مشروع، وهذه الأنواع التي ذكرتها لا خلاف على جوازها بل على استحبابها وندبها، أن تتوسل إلى الله باسم من أسمائه، بصفة من صفاته، أن تتوسل إلى الله بحبك لنبيه، باتباعك لنبيه، أن تتوسل إلى الله بعمل صالح عملته، هذا التوسل لا خلاف في مشروعيته، فتوسَّلْ هنا -صلى الله عليه وسلم- إلى ربه بعلمه الغيب وقدرته على الخلق، قال: **(اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبِ وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ)** بشيء من اثنين من صفات الله؛ الصفة الأولى هي العلم، والصفة الثانية هي القدرة.

العلم والقدرة:

والله تعالى له صفات وله أسماء، من أعظم أسمائه وصفاته: العليم القدير، العلم والقدرة، العلم والقدرة صفات، والعليم والقدير أسماء، كقوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا
(12)

(سورة الطلاق)



التزام الإنسان بمنهج الله تعالى

هاتان الصفتان من أجلهما خلق الله السماوات والأرض، لنعلم هاتين الصفتين، لماذا؟ لأن الإنسان إذا أدرك أن الله تعالى يعلم ويقدر فإنه يلتزم بمنهجه، هَبْ أنك تقف على إشارة مرور، والإشارة حمراء وأنت بسيارتك، وأنت مواطن من الدرجة العادية، لست مواطناً من الدرجة الأولى التي تُباح لك فيها تجاوز القوانين، والساعة الثانية طهرًا، والصابطة موجودة، والشرطي واقف، والسيارة موجودة، والقانون مخالفة بمبلغ كبير، وربما سحب الشهادة لمن يقطع الإشارة أو يخالف، ما فلسفة ذلك؟ لماذا لم تقطع الإشارة وأنت على عجلة من أمرك، والطريق الثاني لا يوجد فيه سيارات تؤذيك، لا يوجد ولا سيارة، لماذا لم تقطع؟ أدركت أن علم من وضع القانون يصل إليك عن طريق هذا الشرطي الذي وضعه وزير الداخلية، وأدركت أن قدرته تصل إليك، لأنك لست فوق القانون فوقفت، من الذي يقطع الإشارة؟ أحد من الناس أدرك أن علم واضع القانون لا يصل إليه، الساعة الثالثة فجرًا لا يوجد كاميرات ولا شرطة، فأدرك أنه لن يمسك به أحد فأقلت من الإشارة، الثاني أدرك أن قدرة واضع القانون لن تطوله؛ لأنه يرى نفسه فوق واضع القانون، أي عنده واسطة كبيرة، أما المواطن الملتزم لا يقطع الإشارة لهذين السببين، بالعمق، دعك من الالتزام بالقوانين أحدث عن مواطن عادي، لأنه أدرك أن العلم بطوله، والقدرة تطوله فتوقف عن الفعل، فنحن في كون الله **الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا** لماذا لا نعصيه مع قدرتنا على المعصية؟ فقد أعطانا الله القدرة على الفعل وترك الفعل لأننا مكلفون، لماذا لا نأتي ما حرم الله؟ لماذا إذا أتينا -لا سمح الله- عدنا فوراً إلى الله؟ لأننا ندرك أن الله يعلم ما نفعله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى (14)

(سورة العلق)

وندرک أنه قدیر علینا فی الدنیا و فی الآخرة، نحن فی قبضته:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (123)

(سورة هود)

أنواع الغیب:



تخصیص العلم بالغیب

فهنا أیها الأجاب قال: **(اللَّهُمَّ بعلیمك الغیب وقدرتك علی الخلق)** توسل إلى الله بعلمه وقدرته، وخصّ العلم بالغیب؛ لأنه الشیء الذي كثيراً ما یغیب عن الناس، عالم الشهادة واضح، لكن الناس ما الذي یغیب عنهم؟ أن الله یعلم الغیب، الدلیل أن الإنسان كثيراً ما یلتزم بالتعلیمات وهو مع الناس، لكن یخالف التعلیمات عندما یخلو بحرمات الله، یعنی لم ینتبه إلى عالم الغیب، فقال **(اللَّهُمَّ بعلیمك الغیب)**.

1. الغیب المطلق:

وبالمناسبة الغیب نوعان أیها الكرام؛ غیب مطلق، وغیب نسبی، الغیب المطلق: ما غاب عنك وعن غیرك نهائياً، هذا غیب مطلق، بمعنى أنه ماذا سیحصل غداً هذا غیب مطلق، هل سنكون غداً أحياء؟ غیب مطلق، لا أحد یستطیع أن یعطیک كلمة أنك ستكون حياً غداً طيلة النهار 24 ساعة، ولا إنسان یستطیع القول، ولا أمهر طیب فی الأرض ولو فحص كل الفحوصات، لا أحد یستطیع أن یعطیک كفالة لتعيش دقيقة واحدة، هذا غیب مطلق، لا یعلم الغیب إلا الله.

2. الغیب النسبی:

وهناك غیب نسبی، نحن الآن فی هذه الغرفة لا ندري ماذا یجري فی الشارع خارجها، فهو غیب عنا، لكنه لیس غیباً عمن یقف الآن فی الشارع، هذا غیب نسبی، مثله تماماً أن یقول لك مثلاً: استطاع الطب أن یمیز الذکر من الأنثی فی الشهر الرابع بعد 120 يوماً من الحمل، هذا لیس غیباً مطلقاً، هذا غیب نسبی عندما اکثیف جهاز یستطیع أن یصوّر وراء الرجم ویخترق الجذر علمنا، هو موجود ومعلوم ولكن ما كان هناك جهاز یستطیع أن یصوره، فلما اكثیف الجهاز علمنا، هذا من الغیب النسبی و لیس من الغیب المطلق، فعلى كل: **(اللَّهُمَّ بعلیمك الغیب وقدرتك علی الخلق)** مثله علم الطقس؛ تقول غداً یوجد منخفض جوي، هو لیس غیباً، فالغیوم قادمة، والرياح متوجهة، وإن لم تغیر مسارها فستصل غداً، فیقول لك الاحتمال الأكبر 99% غداً یوجد منخفض إلا إذا غیرت اتجاهها، فلما کُشفت الأجهزة الحديثة علمت ما كان خافياً عنها فی لحظة ما الذي هو فی الأصل لیس غیباً، أما قبل أن تتحرك الغیوم، وتتحرك الرياح كان غیباً مطلقاً لا أحد یعرفه حتی یأتي بإذن الله جل جلاله.

الحياة والموت بید الله:



الله تعالى هو الذي يحيي ويميت

(اللَّهُمَّ بَعْلِيكَ الْغَيْبَ وَقَدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ) على الخلق جميعاً كل ما خلق الله من الإنس جميعاً والجن والنبات والحيوان، قال: **(أَحْيَيْتَ مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي وَتَوَفَّيْتَنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي)** هذا من علم الغيب -أحبائنا الكرام- ومن القدرة، القدير هو الذي يحيي ويميت، **(أَحْيَيْتَ مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي وَتَوَفَّيْتَنِي)** لأنه قدير على ذلك، من يملك الإحياء والإماتة إلا الله **(بَعْلِيكَ الْغَيْبَ)** لأننا لا نعلم إذا كانت الحياة خير لنا، أو الموت خير لنا بعد أيام، لا ندري ماذا نخشى لنا الأيام كما يقال، هذا قدر، فلذلك **(اللَّهُمَّ بَعْلِيكَ الْغَيْبَ وَقَدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ)** هذا مناسبة التوسل، لماذا قال بَعْلِيكَ الْغَيْبَ ؟ لأننا لا ندري إذا كانت الحياة خيراً لنا أو لا بعد حين، **(وقدرك على الخلق)** لأن الله تعالى وحده هو من يحيي وهو الذي يميت:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (258)

(سورة البقرة)

اليمرود تأوّل الإحياء والإماتة بأنه يأمر بإعدام إنسان فيُعدم، أو يعفو عنه بعد أن أمر بإعدامه فيحييه، تأوّلها، وتأوّلها ليس صحيحاً لأنه ليس الفعال، هو يفعل يأمر الله، لكن لأنه تأوّل علمنا القرآن أنك إذا وجدت مُتَأَوِّلًا اتجه فوراً إلى مسألة أخرى، لا تتجارى معه في تأويلاته ۖ **قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ** ۖ لن أناقشك، أنت تتأوّل أنك تحيي وتميت كما تريد، سأعطيك آية ثانية مباشرة ۖ **فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ** ۖ صفة من صفاته لا يمكن أن يتأوّلها، الأولى تأوّلها، فإذا كنت في حوار مع إنسان، ووصل معك إلى أنه تأوّل كلامك تأوّلًا غير مقبول، لا تستمر معه، واذهب إلى أمر آخر لا يحتمل التأويل هذا أولى في الحوار، قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَبَلَدِكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (83)

(سورة الأنعام)

فقال: **(أَحْيَيْتَ مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي وَتَوَفَّيْتَنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي)** لا نعلم إن كانت الحياة فيها خير أو الوفاة أحياناً فيها خير، الوفاة فيها خير أحياناً؛ لأن الإنسان قد يُفْتَن بعد حين فيتوفاه الله تعالى إليه وهو على الإيمان، فيدخله جنة عرضها السماوات والأرض، والحياة أحياناً فيها خير إذا كان سيزيد في العمل الصالح، ويزيد في الطاعات، ويزيد في البر، ويزيد في الصدقات؛ لأن الإنسان يندم عندما يأتيه الموت، يقول:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ۚ وَمِن وَرَائِهِم بَرْحٌ إِلَىٰ يَوْمٍ يُنْعَمُونَ (100)

(سورة المؤمنون)

فالحياة خير إذا كان فيها عمل صالح، والوفاة خير إذا كانت دريئةً لئلا يستمر الإنسان في معصية، أو يقع في معصية وفتنة.

خشية الله هي الأساس:

(وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) أن يخشى الإنسان ربه في الغيب والشهادة، ولا في الغيب، لأنه كما قلت غالباً الناس كما قال صلى الله عليه وسلم عن أقوام:

{ لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالٍ تَهَامَةٍ بَيْضًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَّنْثُورًا. } قَالَ تَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا أَلَّا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، قَالَ: «أَمَّا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَتَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا {

(صحيح المسند)



كفى بالمرء علماً أن يخشى الله

يعني هو في خلواته ينتهك المحرمات، في جلوته أمام الناس بحكم العادة الإجتماعية، وبحكم وجود أناس يراقبونه يلتزم بما تعارف عليه الناس ببلده، قال: (لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالٍ تَهَامَةٍ بَيْضًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَّنْثُورًا. } قَالَ تَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا أَلَّا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، قَالَ: «أَمَّا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَتَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا) وكلمة انتهكوها تشير إلى أنهم يفعلون ذلك تكبراً وغلواً وليس غلبة أو ضعفاً، هذا الانتهاك للحرمات-والعباد بالله- لأنه عندما تغيب عين الرقيب يفعل ما خشي أن يقوم به أمام الناس.

(وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ ۖ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (28)

(سورة فاطر)

أي العلماء وخدمهم هنا يخشون الله، "كفى بالمرء علماً أن يخشى الله، وكفى به جهلاً أن يعصى الله"، والله يا أحباب، لو كان إنسان معه أعلى شهادة في الأرض في أعلى علم، وكان يعصى الله ولا يبالي، ولا يتوب، ولا يرجع إلى ربه، وآخر أمي لا يقرأ ولا يكتب، لكنه يسأل أين الله إذا أراد أن يعصى الله يراقب الله، فإن الثاني أفضل من الأولي، لأن الإنسان العالم هو الذي يخشى الله، الثاني عالم والأول جاهل، العلم مطلوب، العلم الدنيوي مطلوب، أحياناً يكون فرض كفاية، أحياناً يكون فرض عين، هذا ليس انتقاصاً من العلم الدنيوي، لكن الأصل هو خشية الله، وكل شيء بعدها ينفع من علوم الدنيا، أما إذا كان دون خشية فمضية كبيرة.

معنى الإخلاص:



التزام الإنسان بتوحيد الله تعالى

(وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَكَلِمَةَ الْإِخْلَاصِ فِي الرِّضَا والغضب) وفي رواية: (وَكَلِمَةُ الْحَقِّ فِي الرِّضَا والغضب) كلمة الإخلاص؛ قال بعضهم هي كلمة التوحيد، أن يلتزم الإنسان بتوحيد الله تعالى في رضاه وفي غضبه، أحياناً الناس في الغضب يخرجون عن التوحيد، أو كلمة الإخلاص هنا بمعنى الحق، وهو الأرجح بمعنى أن يقول الإنسان كلمة الحق عند رضاه وعند غضبه، أحياناً أب تأنيبه ابنته وهي مذنبية ويعلم أنها مذنبية، وتشتكي على زوجها، ويعلم أن صهره رجل فاضل، وأن هذه الشكوى تدمر منها غير صحيح، فيغضب لابنته ولا يقول كلمة الحق، فهذا لم يلتزم بكلمة الحق، وأحياناً الأم في البيت تعامل ابنتها معاملة، وكتبتها معاملة أخرى فإذا غضبت تغيرت المعاملة، فالأصل أن الإنسان في كل حال كما أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم أن نقول كلمة الحق لا نخشى في الله لومة لائم، فالإنسان سواء كان راضياً أم غاضباً ينبغي أن يلتزم كلمة الحق، كلمة الإخلاص، كلمة التوحيد، فلا يخرج غضبه عن الحق.

الأصل نعيم الآخرة:

(وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ) لا ينفد؛ أي لا ينتهي، ليس له انقطاع، أحد الشعراء قال:

فالنبي صلى الله عليه وسلم قال:

{ أشعرُ كَلِمَةٍ فَالْتَهَا الْعَرَبُ كَلِمَةُ تَبِيدُ: أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ }

(أخرجه البخاري)

ولم يتابع البيت؛ لأن الثانية غير صادقة، الأولى صادقة أما الثانية غير صحيحة "وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلٌ" لا، لأن "كل" لفظ ألفاظ العموم وهناك نعيم الجنة، ونعيم الجنة لا ينفد، يعني شيء جميل أن يكون الإنسان في الدنيا في نعيم، وهذا إذا كان في إيمان وفي طاعة ممتاز، وإذا كان في معصية فهو وبال، لكن الإنسان ما النعيم الذي لا ينفد؟ نعيم الآخرة، ومن الأدعية الجميلة "اللهم اجعل نعيم الآخرة متصلة بنعيم الدنيا"، لكن الأصل هو نعيم الآخرة، لذلك يُؤتى يوم القيامة بأنعم أهل الدنيا، أكثر رجل نعيمًا في الدنيا؛ قصور وبيوت وأموال وسيارات، وجاه ومنصب، نعيم، فيغمس في النار غمسة فيقول: لم أرَ خيراً قط، ويؤتى بأبأس رجلٍ، أو أشد الرجال بؤساً في الدنيا، يعني سجون وقهر وتعذيب ربما، أكثر رجل بؤساً فيغمس في الجنة غمسة ثم يُخرج فيقال له هل رأيت بؤساً قط؟ لا والله لم أرَ بؤساً.

{ يُوْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنَ الْكَفَّارِ، فيُقال: اغمِسْوه في النَّارِ غَمْسَةً، فيُغمَسُ فيها، ثُمَّ يُقالُ لَهُ: أي فلان هل أصابَكَ نعيمٌ قطُّ؟

فيقول: لا، ما أصابَنِي نعيمٌ قطُّ، ويُوْتَى بِأَشَدِّ الْمُؤْمِنِينَ صَرًّا، وبلاءً، فيُقال: اغمِسْوه غمْسَةً في الْجَنَّةِ، فيُغمَسُ فيها غمْسَةً، فيُقالُ لَهُ: أي فلان

هل أصابَكَ صَرٌّ قطُّ، أو بلاءٌ، فيقول: ما أصابَنِي قطُّ صَرٌّ، ولا بلاءٌ. }

(صحيح ابن ماجه)

فذاك هو النعيم، نعيم الآخرة، نعيم الدنيا ينقطع بالموت، أما النعيم الذي لا ينفد فهو نعيم الآخرة، لذلك قال (وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ).

أنواع قرة العين:

(وَقَرَّةٌ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ) قرة العين ما تفر بها العين، (وَقَرَّةٌ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ) العين كيف تقر؟ بالسكون، تسكن، قرة العين سكونها، ربنا -عز وجل- في القرآن قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (74)

(سورة الفرقان)



قُرَّةُ الْعَيْنِ لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا مَنْ دَاقَهَا

يعني في ذلك الآباء والأزواج، يعني إذا نظر إلى زوجته سرتة، إذا غاب عنها حفظته، إذا أمرها أطاعته، فيجد فيها قرة العين، يدخل إلى البيت فيقول هي قرة عيني، يجد الأب ذلك الأم في أبنائهم، عندما يرى ابنه صالحاً، يصلي، متعلم، ليس كأبناء الطرقات يطلق الكلام البذيء أو الفاحش، تفر عينه به، الولد الصالح قرة عين، فقرة العين لا يعرفها إلا من داقها، والنبي صلى الله عليه هنا يسأل الله قرة العين التي لا تنقطع، وقيل في تفسير الحديث: قرة العين هي الذرية الصالحة، لأنه لا ينقطع أجرها بموت الرجل، أو المرأة وإنما يستمر بعد ذلك إلى أبد الأبد، (وقرة عين لا تنقطع) كل ما تفر به العين، وأهمها الذرية الصالحة، لكن تفر العين أحياناً بالطاعة، تفر العين بالعمل الصالح، تفر العين بالإنفاق، كل شيء يكون فيه سرور النفس فهو قرة للعين.

الرضا بقضاء الله:



الرضا بقضاء الله تعالى نعيم

(وَأَسْأَلُكَ الرِّضَاءَ بِالقَضَاءِ وَبِرَدِّ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ) الرضا بالقضاء -أحبائنا الكرام- من أعظم ما يَمُنُّ الله تعالى به على عباده، "اللهم رضنا بالقضاء"، يعني الرضا بالقضاء نعيم والله من رضي فله الرضا، ومن سخط فعليه السخط، أكبر مصيبة بالرضا تهون، وأصغر مصيبة بغير الرضا تعظم، الرضا بالقضاء أن ترضى بما قضاه الله تعالى وقدره، سواء كان موافقاً لما تُحب، أو لم يكن موافقاً لما تُحب؛ لأنك تعلم أن الله تعالى ما عنده إلا ما يصلحك وما فيه الخير لك.

(وبِرَدِّ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ) يعني في الدنيا -أحبائنا الكرام- إذا كانت أيام ربيعية، وليس هناك البرد الشديد الزمهرير الذي يحقّد الأطراف، ولكن هواء عليل، فالإنسان يُسرّ يقول جلسنا على السطح كان الهواء جميل جداً، شررنا سروراً عظيماً (وبِرَدِّ الْعَيْشِ) المقصود هنا في الحديث بعد الموت، يوجد حياة البرزخ بعد الموت، ثم الحياة الآخرة، فبرد العيش أي هوائها، عيش هائئ بعد الموت.

رؤية الله يوم القيامة:

(وَلَدَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ) هذا جمع خبري الدنيا والآخرة، في الدنيا نشأنا إليه، وفي الآخرة نسعد بالنظر إليه، يُقال لذة؛ لأن النظر إلى وجه الله الكريم يكتنفه حالان: **الهيبة والسعادة معاً**، يعني أنت اليوم إذا كان هناك شخص تحبه وتُعظمه معاً، ولم تره في حياتك، ثم أتيت لك أن تلتقي به، فنظرت إليه تقول سررت أبداً سرور، لكن في الوقت نفسه قلبي كان يطرق مهابة، فاللذة أحياناً يخالفها شعور الهيبة، لما قال (وَلَدَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ) الكريم المقصود تلك السعادة التي أجدها رغم ما في هذا الموقف من جلالة وربة، (وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي الدُّنْيَا)، نحن نشأنا إلى لقائه، ثم نسعد برؤيته، قال تعالى:

لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْخُسَىٰ وَزِيَادَةُ ۖ وَلَا يَرَهُٓ وَجُوهُهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذَلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (26)

(سورة يونس)

الحسنى: هي الجنة، والزيادة: هي النظر إلى وجهه الكريم، وأعظم ما في الجنة النظر إلى وجهه الكريم، إلى وجه الحبيب جل جلاله، قال صلى الله عليه وسلم:

{ إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُصَافُّونَ فِي رُؤْيَيْهِ. }

(صحيح البخاري)

فرؤية الله يوم القيامة حق، في الدنيا لا نستطيع أن نراه، قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ ضَعِيفًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ بُنْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (143)

(سورة الأعراف)

ولكن في الآخرة النظر إلى وجهه الكريم حق.

لا ضرر ولا ضرار:

(وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ ضَرَاءٍ مُّضِرٍّ وَفِتْنَةٍ مُّضِلَّةٍ) الضراء ما فيه ضرر للإنسان، والمُضرة التي تلحق الضرر بالإنسان، فهي ضراء وتلحق الضرر بالإنسان، كقوله صلى الله عليه وسلم:

{ لا ضرر ولا ضِرار }

(النووي)

يعني لا ضرر على النفس، ولا إضرار بالغير، (لا ضرر ولا ضِرار)، (ضِرَاءٌ مُّضِرٌّ) شيء فيه ضرر، وتُلحق الضرر بالآخرين، هل هناك ضراء غير مضرة؟ ربما، كم من إنسان أصابته ضراء، ثم علم أنها ليست مُضِرَّة، وإنما كانت نافعة، ربما ضارة نافعة، "ربما أعطاك فمَنَعَكَ، وربما منعك فأعطاك"، كما يقول ابن عطاء الله السكندري، يعني أحياناً المنع هو ضراء، ثم يكتشف الإنسان أنه كان عين العطاء؛ لأن الله أعطاه من جانب آخر أشياء أخرى بحجم هذا الشيء، فيجد أن هذه الضراء لم تكن مضرة.

الفتنة قد تكون للهداية أو للضلال:



الفتنة يعني الاختبار

(وفتنه مصلية) أيضاً الفتنة ليست دائماً مُصَلِّة، الفتنة يعني الاختبار، فإذا كان هناك إنسان في الجامعة تقدّم للاختبار وخرج، وصديقه تقدم للاختبار وخرج، أحدهم كتب وقال أنه يأخذ 90%، والثاني كتب قال لا يأخذ 10%، فالأول فتنته كانت هادية له، الثاني فتنته كانت مضلة له، فهناك فتنة غير مضلة، فهذا الوصف ليس وصفاً لازماً، وصفاً احترازياً لأن الإنسان إذا اختبر فنجح فهذا الاختبار، وتلك الفتنة ليست ضللاً له وإنما هداية، لأن الله هداه إليه بهذه الفتنة، كم من إنسان مرض فرجع إلى الله بمرضه، كم من إنسان افتقر فشعر بفقره لله تعالى فعاد إليه، فلم تكن تلك الفتنة وذاك الاختبار إصلاً له، بل كان هداية، لذلك قال: (وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ صَرَّاءٍ مُصَرِّةٍ وَفِتْنَةٍ مُصَلِّةٍ).

كليات الإيمان:

ثم ختم صلى الله عليه وسلم بقوله: (اللَّهُمَّ رَبَّنَا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ وَاجْعَلْنَا هِدَاةً مُهْتَدِينَ) (اللَّهُمَّ رَبَّنَا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ) جعلنا بجمال الإيمان، الإيمان -أحبائنا الكرام- ثلاث كليات: كلية معرفية، وكلية سلوكية، وكلية جمالية.

1. الكلية المعرفية:

فالمؤمن يعرف أن الله -سبحانه وتعالى- واحد، كامل، هناك يوم آخر، هناك قضاء قدر، والإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، والقدر خير وشره من الله، هذه الكلية المعرفية.

2. الكلية السلوكية:

الكلية السلوكية: الآن يتحرك وفق إيمانه، فلا يظلم، لا يغش الناس، لا يغتاب الناس، يؤدي الصلوات، يجتنب المحرمات، هذه الكلية السلوكية، معرفية وسلوكية.

3. الكلية الجمالية:



جمال الإيمان يؤدي إلى سكونية في القلب

وهناك كلية أخرى جمالية، هي جمال الإيمان هذه تؤدي إلى سكونية في قلبه، راحة في ضميره، تؤدي إلى نور في وجهه، تؤدي إلى محبته للناس، ومحبة الناس له، هذه كلية جمالية، فالإيمان معرفة وسلوك وجمال، فهنا قال: (اللَّهُمَّ رَبَّنَا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ) التي هي النتيجة الحتمية للمعرفة والسلوك، فمن عرف الله تعالى حقاً واستقام على سلوكه، تزين بزيينة الإيمان، والله أحياناً تنتظر إلى وجه الإنسان، يعني إذا رُؤوا ذكر الله من تواضعه، من بهاء وجهه، من النور الذي يلقبه الله في وجهه، أحياناً تنتظر إلى إنسان ظالم والعياذ بالله، تقول وجهه لا أستطيع النظر إليه، مُسود والعياذ بالله، فالإيمان له نور يعرفه أهل الإيمان، أهل الإيمان يعرفون كل هذا، فهذا هو جمال الإيمان قال (اللَّهُمَّ رَبَّنَا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ) لا تكون زينة الإيمان إلا بعد الإيمان، نحن نريد أن نزين هذه الغرفة، هل نستطيع أن نزينها بلا وجودها، إذا زينة الإيمان يعني هناك إيمان.

الدعاء:

نسأل الله أن يجعلنا من الصالحين المصلحين، الهداة المهتدين، الذين يأملون بالمعروف، وينهون عن المنكر، اهتدوا فتحركوا لهداية الخلق، والإنسان ما أن يهتدي إلى الله -عز وجل- حتى يحب نقل الخير إلى الناس، لأنه وجد نور الإيمان، وجد جلاوة الإيمان، وجد نتائج الإيمان المبهرة، وما يحققه الإيمان له من سعادة في الدنيا والآخرة، ومن سكونية في الدنيا والآخرة، فيتحرك من أجل أن ينقل للناس ما عنده من خير، لأنه يحب لأخيه ما يحب لنفسه، فيكون من الهداة المهتدين.

نور الدين الاسلامي